«١٦»

علي ناجي بن بريك[١]

أول أمير من آل بريك - القضاء على المعارضة - الهجوم على غيل باوزير - الكسادي يهاجم الشحر - وفاة علي ناجي الأول - الأمير حسين بن ناجي - ناجي بن علي - أهم الأحداث في عهده - قدوم الوهابية - حروبه مع الكسادي - هدم القباب والتوابيت - وفاة الأمير ناجي - علي ناجي الثاني - غزو آل كثير للشحر - نهاية دولة آل بريك

❖ أول أمير من آل بريك:

في سنة ١١٦٥هـ قدم إلى الشحر من حريضة سبعة من آل بريك كلهم أخوة أبناء أب واحد، وهم: ناجي وسعيد وعبود ومرعي وأحمد وجابر وشِيخَان أبناء عمر بن بريك، وكان ناجي أكبر إخوانه، فقصدوا حارة المجرف وسكنوا بها.

وكانت الشحر إذ ذاك يتنازع النفوذ فيها عشائر متعددة من يافع، حتى أصبحت البلاد في فوضى عانى الأهالي منها ما لا يطاق من الفتن والجور والعنف والقسوة، الأمر الذي جعل هؤلاء الإخوة من آل بريك يرون في هذه الفوضى أكبر مشجع لهم في محاولة الوصول إلى حكم الشحر.

وكان أول ما فكر فيه آل بريك القيام بعقد اتفاقات وأحلاف مع قبيلة الحموم وغيرهم من القبائل التي تعيش في المنطقة المحيطة بمدينة الشحر؛

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على تاريخ الشحر لباحسن.

لكي يأمنوا عدوانهم على الأقل، ثم أخذوا يتقربون من البادية والأهالي ويتحببون إليهم بما عرفوا به من الأخلاق الكريمة، فأحبهم الناس ومالت إليهم طوائف الأعراب واكتسبوا سمعة طيبة مهدت لهم سلوك سبيلهم المرموق.

وطبيعي أن يتخوف منهم أصحاب السلطة في البلد، وأن يقدروا خطر هؤلاء المنافسين الجدد، وأن يفكروا في التخلص منهم، ولكن الاختلاف فيما بينهم كان معجلاً بنهايتهم ومعطياً الفرصة لآل بريك في تثبيت أقدامهم وتعزيز مركزهم، فقد استطاعوا أن ينشئوا في حارة المجرف فرضة على الساحل، ويبتنوا حصوناً في رباط باجوبان في الجانب الشرقي من المدينة، وحفروا آباراً في «العِيْص» خارج البلد، ثم خطوا الخطوة الأخيرة فجعلوا أخاهم الأكبر ناجي بن عمر أميراً عليهم، وأسندوا إليه القيام بتصريف شؤون الإمارة الناشئة.

ويؤكد العارفون بأن هناك أدلة كثيرة تحمل على الاعتقاد بأن آل بريك هم فصيلة من يافع تنتسب إلى ذي ناخب، هاجرت إلى حضرموت كما هاجر إليها كثير من قبائل يافع في فترات متقطعة.

وهكذا يعتبر الأمير ناجي بن عمر أول أمير من آل بريك في الشحر، وقد استطاع بفضل حكمته وفطنته وشجاعته وما عرف عنه من صبر وجلد أن يسكت معارضيه من يافع ويتغلب عليهم بعد حوادث وحروب جرت بينه وبينهم، ما خلا رئيس آل معوضة اليافعي المقيم بحارة الخور في الجانب الغربي من المدينة، فقد امتنع واستمر في معارضته لآل بريك، ورفض الخضوع والتسليم لهم.

❖ القضاء على المعارضة:

كان لابن معوضة حصن معروف في «مرير» خارج الشحر جعل فيه جماعة من أصحابه لأخذ الضريبة على الأموال المارّة بهذا الموضع من المكلا وغيل باوزير، وكان يستعين بهذه الجباية في حروبه مع آل بريك

ومقاومته لهم، وقد ظل الأمير ناجي بن عمر متابعاً محاولاته لإخضاع ابن معوضة حتى توفي سنة ١١٩٣هـ، وقام بالأمر بعده ابنه علي بن ناجي الملقب بـ«القحوم»، وكان شجاعاً نابهاً، فاشتد في مناجزة ابن معوضة وضيق عليه الخناق وحاصره محاصرة شديدة قطع عليه بها جميع السبل، حتى اضطر إلى التسليم وعقد صلح دخل بموجبه تحت طاعة آل بريك وانقاد لحكمهم.

❖ الهجوم على غيل باوزير:

كانت غيل باوزير في تاريخها السياسي القديم تخضع للسلطة التي تتولى الشحر؛ بحكم اضطرارها إلى هذه الميناء في توريد حاجياتها الضرورية وكمالياتها، فخضعت لدولة آل كثير حكام الشحر قبل استيلاء يافع عليها، ثم استقل من بها من قبائل آل همام وآل عمر باعمر بشؤون مدينتهم متعاونين مع المشايخ آل باوزير أصحاب النفوذ الروحي في المنطقة، حتى تكونت إمارة آل بريك بالشحر، وحاول هؤلاء ضم هذه البلدة إلى إمارتهم والتدخل في حكمها مباشرة، فأبدى النقيب محسن بن جابر بن همام معارضة في ذلك، وأظهر المخالفة والعداء لآل بريك، وانضم إليه آل عمر باعمر وساندوه في حركته.

وجمع الأمير علي ناجي الأول أقواما كًثيرة، وتجهز من الشحر للهجوم على غيل باوزير واحتلالها، وكانت هذه الحملة مزودة بالمدافع وبمعدات حربية تضمن إسكات المقاومة، فلم يجد النقيب محسن بن جابر بُداً من الرحيل عن الغيل والالتجاء إلى أمير المكلا النقيب عبدالرب الكسادي، كما لحق جماعة من آل عمر باعمر بـ«الريدة» لدى أميرها الكلدي اليافعي، وبذلك تم احتلال آل بريك لغيل باوزير.

وقد حاول النقيب محسن بن جابر أن يقوم برد فعل لهذه الحادثة، فقد استطاع أن يقنع النقيب عبدالرب الكسادي بضرورة مساعدته في الهجوم

على الغيل واسترجاعها من آل بريك، وتجهز النقيب من المكلا على رأس عدد كبير من العساكر، وبينما هم بموضع يقال له «الحَدبة» أسرع آل بريك لصد هذه الحملة، وهاجموا معسكر الكسادي وابن همام، وبعد معركة عنيفة كان النصر فيها حليف آل بريك عاد الكسادي إلى المكلا بعد أن قتل محسن بن جابر في المعركة.

❖ الكسادي يهاجم الشحر:

وتحركت بعد ذلك من المكلا حملة كبيرة قوامها اثنتا عشرة مائة من مختلف عشائر يافع استقدمت من الجبل للهجوم على الشحر طلباً للثأر من آل بريك، وقد رابطت هذه الجموع بقرية «تبالة» إحدى ضواحي الشحر، ولكنها عادت دون أن تصنع شيئاً، فقد استطاع آل بريك أن يوقعوا في صفوف القبائل المهاجمة الضغينة والفرقة فاختلفوا وتفرق جمعهم وعادوا خائبين.

❖ وفاة علي ناجي الأول:

في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة عشرين ومائتين وألف هجري توفي الأمير علي ناجي الأول، ودفن في قبة السيد سالم بن عمر العطاس بعد أن أكمل ما بدأ به والده من تثبيت الإمارة ونشر هيبتها وإظهار قوتها ومدى استعدادها لمجابهة الأحداث التي تتعرض لها، ومما يجدر بالتسجيل ما ذكره السيد عبدالله باحسن في تاريخ الشحر وسمعته عن غير واحد من شيوخ الغيل المعمَّرين أن علي ناجي هذا علم أن القاضي الفقيه الشيخ سعيد بن عمر بن طاهر كان يستعمل معرفته بأسرار الأسماء والأوفاق للإضرار بالناس فأمر بقتله غرقاً في منبع للماء غزير يدعى «الحومة» خارج غيل باوزير.

وهذه الحادثة لها قيمتها من ناحية الاستدلال بها على نفسية الأمير علي ناجي وعقلية العصر الذي يعيش فيه.

الأمير حسين بن ناجي:

قام بالأمر بعد وفاة علي ناجي أخوه الحسين بن ناجي، وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة ونسك زاهداً في الدنيا غير راغب فيها ولا ناظر للإمارة وبهجتها، ولكنه اضطر إلى قبولها حين كُلِّف بها من قبل أخيه الأمير الراحل، فمكث في الإمارة سنتين وشهرين، ثم خلع نفسه وتخلّى عن مهام منصبه لابن أخيه الأمير ناجي بن علي بن ناجي.

ناجي بن علي:

كان هذا الأمير معروفاً بالشجاعة والإقدام والكرم وسماحة النفس، كما اشتهر بالحزم والدهاء، فقام بما أسند إليه من شؤون الإمارة خير قيام وعمل على حمايتها بكل مالديه من قوة.

❖ أهم الأحداث في عهده:

(١) قدوم الوهابية:

في عهد الأمير ناجي بن علي قدم من ناحية القِبْلَة - على رأس جماعة من قبائل نجد الوهابيين - رجل يقال له «ابن قملا»، وكان أول قدومه إلى بلدة «شكلنزة» من متعلقات الشحر وضواحيها في جماعة من أصحابه رجالاً وفرساناً، ثم تقدم إلى الشحر أحد رجاله، وكان أميراً متنكراً متجسسا وًاسمه فارس بن محمد، فلقيه رجل من قبيلة بيت شنين وطعنه برمح فقتله ودفن بتربة الشيخ فضل.

ثم تدافعوا إلى الشحر خفية متسللين حتى تكاثروا بها ولم يحصل أي اصطدام بينهم وبين أحد ولم يصب أي شخص منهم بسوء أو أذى، وكانت عقيدة هؤلاء إنكار التوسل بالأولياء ومحاربة تجصيص القبور ووضع التوابيت على ضرائح المعروفين بالصلاح وإقامة القباب عليها.

(٢) حروبه مع الكسادي:

في سنة ١٢٢٧هـ أعد النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي سفناً وحشد فيها جماعة من جنوده، وأمرهم بأن يتعرضوا للسفن القادمة من سواحل إفريقيا الشرقية إلى الشحر في أيام الموسم وكانت أكثر هذه السفن لتجار الشحر، وقد قامت سفن النقيب بمهمتها، وساقت جميع سفن الشحر بما تحمل من بضائع إلى المكلا.

وأعد الأمير ناجي بن علي العدة لحرب الكسادي والانتقام لحادث السفن واسترداد أموال الرعايا، وحشد جماعة كبيرة للهجوم على المكلا، وعلم النقيب بهذا الهجوم فخرج بمن معه من العساكر للقاء آل بريك إلى الحرشيات خارج المكلا، ولم يصل آل بريك إلى الحرشيات حتى كان النقيب على استعداد لحربهم، وبعد معركة حامية تقهقر عسكر الكسادي إلى البقرين والدّيس، واستولى آل بريك على الحرشيات وما خلَّفه جنود النقيب من مؤن وعتاد، ثم تابعوا زحفهم واستولوا أيضاً على البقرين والديس بعد أن انسحب حاميتها من عسكر النقيب إلى المكلا، ومنع الجيش الزاحف الماء عن أهل المكلا.

وفي اليوم الثالث تسلق آل بريك الجبل المطل على المكلا، واحتلوا الحصون المشرفة على المدينة، وأطلقوا نيران مدافعهم على حصن النقيب، وتضايق سكان المكلا وحل بهم الرعب، ولم يلبث النقيب أحمد بن عبدالرب بن صلاح الكسادي أن تقدم في جماعة من أصحابه مهاجماً آل بريك في قمة الجبل وهم في الحصون، وحدثت مناوشات لم تؤد إلى نتيجة قتل أثناءها أحمد بن عبدالحبيب ورجل آخر.

وتوسط في النهاية بعض السادة من آل العيدروس وأحد المشايخ من آل باعمر، وتم الصلح على أن تعاد جميع السفن التي أخذها الكسادي بما فيها من أموال لأهل الشحر، ويعود آل بريك إلى حيث أتوا، وبذلك انتهى

النزاع وأوقفت الحرب.

ولكن النقيب عبدالرب الكسادي عاد في سنة ١٢٣١هـ فحشد حوالي خمسة آلاف جندي وتوجه بهم قاصدا مًهاجمة الشحر، فعسكر بتبالة، ثم تحرك الجيش منها للهجوم على المدينة، واصطدم بآل بريك في موضع يقال له «المِشراف» خارج الشحر، ونشبت معركة من طلوع الشمس إلى وقت الظهيرة، قتل فيها اثنان من آل بريك، وعاد الكسادي دون أن يظفر بطائل.

(٣) هدم القباب والتوابيت:

ويقول السيد عبدالله باحسن: إنه وصل إلى الشحر - قبل الحادثة السابقة - من ناحية الشرق بأرض الباطنة جماعة من الوهابية أقاموا بها أربعين يوماً، هدموا أثناءها جميع القباب المقامة على ضرائح الصالحين، وأخذوا جميع التوابيت الموضوعة على قبورهم ما عدا قبة الشيخ فضل بن عبدالله بافضل فلم تنلها يد الهدم، ولم يعترضهم آل بريك، ولم يحصل بينهم وبين أمير الشحر أي اصطدام.

ويستمر السيد باحسن في الحديث عن هؤلاء الوهابية فيقول: إنهم وضعوا التوابيت وبعض أبواب المساجد التي أخذوها في إحدى السفن التي معهم وساروا بها، ولما وصلوا إلى ثغر مرير احترقت السفينة وخرجت بعض الأبواب سليمة إلى الساحل فأخذت وأعيدت إلى مواضعها.

❖ وفاة الأمير ناجي:

في بداية سنة ١٢٤٣هـ توجه الأمير ناجي في نحو مائة من أصحابه إلى حاكم مسقط السيد سعيد بن سلطان ومعه النقيب عبدالرب الكسادي، قيل: إنهما حكَّماه في الخلاف الواقع بينهما، وقيل لأسباب أخرى، وبعد وصولهما إلى مسقط بنحو شهر أصيب الأمير ناجي بمرض ألزمه الفراش، ثم توفي رحمه الله متأثراً بمرضه ودفن بقرية «سداب» من قرى مسقط.

❖ علي ناجي الثاني:

وأسندت شؤون الإمارة بعد وفاة الأمير ناجي إلى ابنه علي، وكان إذ ذاك فتى صغيراً، فنازعه عليها الأمير محسن بن حسين أحد أعيان العائلة، وانقسمت حاشية آل بريك إلى فريقين: فريق يؤيد محسن بن حسين، والأغلبية تناصر الأمير علي ناجي، وطال النزاع واستعرت نار الفتنة واحتدم الخلاف، وأعد كل فريق العدة لحرب الفريق الآخر، ولزم أكثر آل بريك الحياد، فلم يتدخلوا أو ينحازوا إلى أحد الجانبين.

واستمرت المناوشات سنة كاملة اضطر أثناءها كثير من أهالي الشحر إلى الرحيل عنها، وتوقفت الأعمال وتضرر الناس حتى توسط عقلاء آل بريك وبعض السادة من آل العطاس، وتم الصلح على أن تكون شؤون الإمارة خاصة بالأمير علي ناجي وحده دون شريك، وبذلك حسم الخلاف وقضى على أسباب الفتنة.

❖ غزو آل كثير للشحر:

في سنة ١٢٦٦هـ اتفق آل كثير بداخل حضرموت مع بعض السادة العلويين على أن يستعينوا بممثلي الدولة التركية في الحجاز في تجهيز حملة من الأتراك للاستيلاء على الشحر لقاء مبالغ من النقود تدفع لهؤلاء الأتراك، وقد ذهب إلى الحجاز لهذا الغرض السيد إسحاق بن يحيى والأمير عبود بن سالم الكثيري وعادوا بنحو أربعمائة جندي من الأتراك في مركب بخاري وعدة سفن شراعية.

ولما اقتربت السفن من الشحر لم تستطع دخول الميناء؛ بسبب اضطراب البحر وهيجانه، فقد كان وصولهم في فصل الخريف، فاضطروا إلى الذهاب إلى «شرمة»، وكان قد سبقهم إليها آل بريك وحصنوها بنحو مائة وخمسين من رجالهم، ولما نزل الجنود الأتراك إلى البر اصطدموا برجال آل بريك المرابطين هناك ونشبت معارك انتهت بهزيمة الأتراك

وفرارهم في السفن إلى قصيعر، وقد غرقت إحدى سفنهم أثناء عملية الانسحاب.

وكان آل كثير قد أعدوا جيشاً كثير العدد ليقوم بالهجوم على الشحر من البر في الوقت الذي يهاجم الأتراك فيه المدينة من البحر، وأقبل الجيش الكثيري مؤلفاً من قبائل مختلفة من وادي حضرموت ودوعن ومن نهد والصيعر والعوابثة وآل العمودي والحموم وغيرهم، فرابط في «دفيقة» على مسافة قريبة جداً من المدينة، وحاصر الشحر من البر، ومنع عنها كل ما يرد إليها من الضواحي، وقام الأتراك المرابطون في قصيعر بحصار الشحر من البحر وقطع الوارد إليها من البحر، وبذلك أصبح الأهالي في أزمة وعسر شديدين، خصوصاً عندما استطاعت سفن الأتراك التجول حول الميناء مباشرة بعد انقضاء فصل الخريف.

وبمقتضى اتفاقية عقدت في غيل باوزير بين الأمير علي ناجي والنقيب محمد بن عبدالحبيب الكسادي تنص على وجوب مساعدة كل منهما للآخر عند أي هجوم مسلح على المناطق التابعة لهما، تحرك الكسادي من المكلا في نحو ألف مقاتل للدفاع عن الشحر عندما بلغه نبأ وصول قوات آل كثير إلى دفيقة، وكانت هذه القوات قد اشتبكت مع آل بريك في قتال خارج المدينة، ثم عادت إلى مواقعها في دفيقة انتظاراً للفرصة المواتية.

واصطدمت النجدة الكسادية بجماعة كبيرة من الجيش الكثيري عند حصن مرير واشتبكت معهم في معركة انهزم في نهايتها جنود آل كثير، وواصلت النجدة سيرها إلى الشحر، أما الجنود الكثيرية التي انهزمت أمام قوات آل كساد فلم تعد إلى معسكرها في دفيقة بل عادت أدراجها إلى حضرموت، وحذا حذوهم بعض القبائل المرابطة في دفيقة، ولم يبق بها سوى عدد قليل من الحموم وبعض القبائل الأخرى وجماعة من الأتراك.

ورأى الأمير علي ناجي أن الفرصة مواتية لتطهير دفيقة من بقية

الجيش، فقرر الهجوم على دفيقة بالاشتراك مع النجدة الكسادية، ولكن اليأس قد دب في نفوس البقية الباقية من جيش آل كثير فأصبحوا غير قادرين على الدفاع فضلاً عن الهجوم، ولذلك ركب الأتراك البحر وعادوا راجعين، وتفرق من بقي من القبائل عائدين بالخيبة والفشل، وخلت دفيقة من الغزاة، وخرج موالي آل بريك لأخذ مخلفات الجيش من عتاد وأسلحة وأقوات.

❖ نهاية دولة آل بريك:

كان آل كثير ما زالوا يفكرون في إصرار في احتلال الشحر؛ لتكون منفذاً لسلطنتهم إلى الخارج ومركزاً لتوسعهم في الساحل، لذلك عاودوا الهجوم مرة أخرى على الشحر في جمادى الآخرة سنة **١٢٨٣**هـ بنحو ثلاثة آلاف مقاتل من آل كثير والعوامر وغيرهم، وكان الهجوم بغتة من جميع جهات المدينة البرية الثلاث، ولم يكن الأمير علي ناجي هذه المرة على استعداد لصد هذا الهجوم المباغت القوي، فلم تدم المقاومة طويلاً، وسرعان ما سقطت المدينة في أيدي آل كثير بعد أن قتل أحد عشر شخصاً من آل بريك وخمسة من آل كثير كما أخبرني بذلك الأمير علي بن صلاح القعيطي نقلاً عن الثقات الذين عاصروا الحادثة من يافع.

أما الأمير علي ناجي فقد ركب البحر إلى أحور مع جماعة من حاشيته وأصحابه وذويه، بينهم أخوه ناصر بن ناجي، والتجأ أكثر آل بريك إلى النقيب صلاح بن محمد الكسادي بالمكلا، ويقال بأن النقيب الكسادي لم يقابل علي ناجي عندما مر بالمكلا، فقد كان ناقماً عليه لسرعة استسلامه قبل أن تقدم نجدات يافع من الكسادي في المكلا والقعيطي في حضرموت.

وعاد ناصر بن ناجي من أحور إلى المكلا فأخبر النقيب بأن علي ناجي اتفق مع أقوام من العوالق على استرداد بلاده من آل كثير، وأن الإنكليز وعدوه بالمساعدة وحمايته من الغزو البحري، ولكن النقيب

الكسادي أقنعه بأنه لا فائدة من ذلك ولا حاجة إليه، وأن القعيطي كتب إليه من الهند يؤكد له بأنه عقد العزم على حرب آل كثير ولديه القوة الكافية والمعدات اللازمة لذلك ولا يطلب إلا العون والمساعدة وتوحيد جهود يافع في هذا السبيل.

ولم يجد الأمير علي ناجي بُدّاً من أن يتجلد لنكبته ويواصل سفره من أحور إلى عدن، ثم إلى لحج حيث مرض بها وتوفي بعد صلاة الجمعة في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٩٣هـ.

ويذكر السيد باحسن أن الموجودين من آل بريك في المكلا اشتركوا في هجوم القعيطي على الشحر لاسترداد أموالهم وبيوتهم التي غلبهم آل كثير عليها كما وعدهم بذلك القعيطي، وقد تم هذا الهجوم والاحتلال في ذي الحجة من نفس العام أي سنة ١٢٨٣هـ، كما سيأتي تفصيل ذلك في ترجمة السلطان عوض بن عمر عليه رحمة الله.